

تقرير عن:

تعزيز المناعة الاجتماعية بمواجهة التطرّف

بيروت، ٤ - ٨ نيسان / أبريل ٢٠١٦

کاتی نصار (*)

باحثة في مركز دراسات الوحدة العربية.

آلن الأوسطه (**)

أستاذ مساعد في الجامعة الأنطونية وجامعة القديس يوسف - بيروت.

مقدمة

بعدها تصاعدت موجة التطرف على الساحة العربية، إلى الحد الذي اتخذت معه طابعاً عنفياً ودموياً خطيراً، وبخاصة مع الحركات التكفيرية الإرهابية التي تسعى لتعميم هذه الموجة وبخاصة وسط الشباب والفتيان، أصبح من الضروري البحث عن سبل لنشر ثقافة الحوار وقبول الآخر وتعزيز المناعة في المجتمعات العربية في وجه الانقسام والتمزق والعنف، الذي تصيب شظاياه مختلف الفئات الاجتماعية والثقافية في المجتمع العربي، وتحديدًا الجماعات الثقافية والدينية المختلفة عن الجماعات التكفيرية.

ومع اتساع الانقِسام، ونفاقم قُلُ
الجماعات الثقافية والدينية المستهدفة من
جانِب الحركات التكفيرية، أصبح مهمًّا التوقُّفُ
عند مفهوم المناعة؛ وهي كلمة مُشتقة من
مصدر «مَنَعَ»، وتعني قوة المقاومة التي
يكتسبها الجسم، وتجعله قادراً على مواجهة
الأمراض. بما أن التطرف هو مرض مجتمعي،
سببه رفض الآخر، نجد أن المناعة الاجتماعية
تتلخّص بالحكمة المُكتسبة من الخبرات
المؤلمة والمعاناة والحروب والويلات السابقة.

كما في الجسد كذلك على الأرض، تؤدي
الذاكرة دوراً محورياً في الجهاز المناعي،
لذلك يجب على الجماعات التي تعمل على
تعزيز مناعتها، العمل على تنشيط ذاكرتها

(*) البريد الإلكتروني:

(**) البريد الإلكتروني:

تابع المشاركون، بعد عودتهم إلى بلادهم، دروساً تختصّ بهذا الموضوع بواسطة التعلّم الإلكتروني.

تمّ تعريف التطرّف على أنه ظاهرة مُعقدة تتصل بالمعتقدات، المواقف، المشاعر، والأفعال، وتتسم بالإقصاء والأحادية، وهو يدلّ على كل ما يناقض الاعتدال، زيادةً أو نقصاناً. عُرّف التطرّف أيضاً، بأنه خروج عن القيم والمعايير والعادات والتقاليد الشائعة في المجتمع.

زعم البعض أنه لا ضيرَ في التطرّف إذا كان يصبّ بمصلحة قضية نبيلة، كالدفاع عن الحرية أو الكرامة الإنسانية، مُستشهدين بمارتن لوتر كينغ، الذي يقول: «ليست المسألة إذا كنا سنغدو متطرّفين، لكن هي أي نوع من التطرّف سنكون عليه. إن العالم بأمرّ الحاجة إلى متطرّفين مُبدعين»^(١). وربطوا التطرّف السلبي باستخدام العنف العاطفي والجسدي. مُشيرين إلى أنه يندمج مع الأيديولوجيات التي تتعارض مع المبادئ الأساسية للديمقراطية وحقوق الإنسان، وتناصر سياسات التمييز السلبي، والتفوّق الديني والعنصري والإثني، والتي تستهين بالحياة، والحرية، وكرامة الإنسان، وتنتشر الحقد والكراهية.

ورأى بعض آخر أن التطرّف يشكّل متنفّساً عاطفياً لمشاعر حادة، وهو عبارة عن استراتيجية عقلانية تدخل ضمن لعبة النزاع على السلطة، وينبثق من أيديولوجيات رؤيوية وأخروية، تُعبّر عن اعتلال مرضي^(٢)،

ووعيتها الاجتماعيّين، فضلاً عن السعي إلى تمييز المشكلة، وتحليل عناصرها، وتحديد المسؤوليات المترتبة عنها، والعمل بهدف ابتكار الحلول.

من هنا تأتي أهمية العمل على تفعيل دور المؤسسات والمجموعات والأنشطة المناهضة للتطرف داخل المجتمع العربي. وفي هذا السياق، تأتي ورشة العمل التي عقدتها جمعية أديان على مدى خمسة أيام، بالتعاون مع مؤسسة الدانميشون الدنماركية، والهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية في مصر، ومنتهى التنمية والثقافة والحوار اللبناني، في مدينة بيروت، وذلك من أجل «تعزيز المناعة الاجتماعية بمواجهة التطرّف». وقد شارك في الورشة سبعة وعشرون شاباً وشابة من الدنمارك ومصر وسورية والأردن ولبنان.

إن ورشة العمل هذه، هي الدورة الخامسة من برنامج قادة التفاهم بين الأديان، وهو برنامج تدريبي مُخصّص للمهنيين الشباب من حقول السياسة والإعلام والدين والتربية والمجتمع المدني، وهو مدعوم من وزارة الشؤون الخارجية الدنماركية بهدف تطوير القدرات لدى القيادات الشبابية في مجال الحوار بين الثقافات، وتعزيز المشاركة السياسية وتشجيع المصالحة المجتمعية.

عالت الورشة موضوع التطرّف، محاولةً استيعابه، وإيجاد استراتيجيات لمكافحته، مع العلم أن العمل لم ينتهِ مع نهايتها، إذ

John W. Whitehead, «Was Martin Luther King an Extremist?», *The Huffington Post*, 13/2/2009, (١) <http://www.huffingtonpost.com/john-w-whitehead/was-martin-luther-king-an_b_157602.html>.

Peter Coleman and Andrea Bartoli, «Addressing Extremism», International Center for Co- (٢) operation and Conflict Resolution (Columbia University, New York: 2003), <http://www.academia.edu/5016040/Addressing_Extremism>.

ثانياً: الدين والتطرف

في اللغة اللاتينية يُستعمل مصطلح «ريليجاري» للإشارة إلى الدين، ويعني الرابطة التي تجمع الناس في مجتمع ما. يسعى الدين لتشكيل إطار يُنظم علاقة الإنسان بذاته وباللّه وبالأخرين. للدين ثلاثة أبعاد: البعد الروحي؛ والبعد الأخلاقي؛ والبعد العقائدي.

اتفق المشاركون على أنّ الربط بين الدين والتطرف، يتمّ حالياً، بسبب الأوضاع السياسية والجيوبوليتيكية الراهنة من جهة، وبسبب الطبيعة اللاعقلانية أو فوق العقلانية للأديان، من جهة أخرى. لكن ما يجب ذكره هنا، أنّ العالم شهد العديد من أعمال العنف التي مارستها أنظمة علمانية، كما أنّ المعتقد «اللاعقلاني» للعديد من الأديان قد ألهم الكثيرين لكي يصبحوا مناضلين أشداء من أجل إحلال السلام.

فظهرت هنا إشكالية جديدة تكمن في التفاسير المتعارضة للنصوص الدينية، وإدراك كيف أنّ النضال باسم الدين قد يتخذ شكلاً سلمياً وآخر عنيفاً على حدّ سواء، ذلك حسب الظروف التاريخية والسياسية المحيطة. فتمّ تبني ما قاله سكوت أبلباي في هذا السياق «بالنسبة للعنف الديني أو بناء السلام باسم الدين، فإن كل شيء يعود للطريقة المتبعة في تفسير النصوص (الهرمونوطيقا)»^(٤).

وجد المشاركون أنّ مكافحة التطرف تكون باتّباع مبدأ الحوار الهادف إلى نشر

معتبرين أنّ الرأي العام، يميل حالياً إلى الربط بين العنف والأفكار الدينية المتطرفة، لكنهم عادوا وأضافوا موضحين «أنّ العلاقة بين المفهومين ضعيفة نسبياً»^(٣)، فالعنف يتأثر بالممارسات (الدينية وغير الدينية) وليس بالأفكار والمعتقدات.

أولاً: أسباب التطرف

تم تحديد أسباب التطرف، بالنقاط التالية:

- اليأس الحضاري؛ وهو عبارة عن شعور يبدأ كنوع إحباط، وينشأ بسبب انتشار الفساد والعنف والفقر والبطالة والتهميش والازدراء والاستغلال والتحقير. ومن ثم يتراكم على مرّ العقود، ويتحوّل إلى يأس.

- الإقصاء المجتمعي؛ وهو يتمثّل بإبعاد الأشخاص عن مركز القرار، وحرمانهم المشاركة في عملية صنعه.

- ضعف المؤسسات السياسية والاقتصادية، والفشل في بنية الدول، وتراجع مفهوم المواطنة.

- الفقر والجهل، وهما يرتبطان بعلاقة تبادلية.

بعد معالجة موضوع التطرف، طُرح موضوع الدين، بهدف إظهار حقيقة العلاقة بينه وبين التطرف.

(٣) Olivier Roy, «Al Qaeda in the West as a Youth Movement: The Power of a Narrative,» (Mi-crocon Policy Working Paper; 2 (November 2008), p. 3, <http://www.microconflict.eu/wp-content/uploads/2016/06/PWP2_OR.pdf>.

(٤) R. Scott Appleby, «Religious Violence: The Strong, the Weak and the Pathological,» in: Atalia Omer, R. Scott Appleby and David Little, eds., *The Oxford Handbook of Religion and Peacemaking* (New York: Oxford University Press, 2015).

نجد مساحة لقاء وارتقاء، نحقق الإبداع المشترك، فنستكشف، نحلم، نصمم، ونحيا معاً. الحوار الحقيقي ليس حوار عقائد وأفكار، لكنه حوار حياة.

هكذا يؤدي الحوار دورين جوهريين في مواجهة التطرف: دور وقائي يواجه التطرف بطريقة استباقية؛ ودور علاجي سعياً لتحقيق المصالحة والمصالحة.

رابعاً: المسؤولية الاجتماعية

المسؤولية الاجتماعية هي نظرية تركز على الأخلاقيات، تفيد بأن أي كيان سواء كان فرداً أو مؤسسة، يتوجب عليه العمل لمصلحة المجتمع ككل. تعتمد هذه النظرية على عدّة مبادئ: كالشفافية، ومكافحة الفساد، والتنمية الاجتماعية، والحفاظ على البيئة، والعدالة التوزيعية. لا تتلخص المسؤولية الاجتماعية بعملية جمع التبرعات من أجل قضية ما، لكنها تسعى إلى خلق ثقافة تركز على إحلال الإنصاف بهدف خدمة الإنسان، والحفاظ على الكوكب، وتحقيق التنمية.

قال كوفي عنان في قمة جوهانسبرغ، عام ٢٠٠٢، إن الحكومات لم تعد قادرة على التحرك وحدها، فقد أضحت مُلزَمة بالتعاون مع المجتمع المدني والقطاع الخاص^(٥). لذلك يتوجب على كل مؤسسة أن تُعطي نموذجاً عن المواطنة الجيدة، لكي تؤدي مسؤوليتها الاجتماعية تجاه المجتمع والبيئة^(٦).

ثقافة الإبداع المشترك، ورفع مستوى الوعي، ومكافحة الجهل، والسعي إلى إحلال الوفاق، وبنیان الدولة، ومن خلال اعتماد مبدأ المسؤولية الاجتماعية، الهادف إلى تحقيق التنمية المنشودة ومكافحة الفقر.

ثالثاً: الحوار

يعود جذر كلمة «ديالوغ» اليونانية الأصل إلى كلمتين: ديا وتعني «عبر»، ولوغوس وتعني «كلمة» أو «معنى». هكذا يصبح الحوار وسيلة لتبادل الأفكار والكلمات، ولتدفق المعاني. لا يُصنّف كل حديث يجري بين طرفين على أنه حوار، فهناك النقاش وهناك الجدل.

في الجدل يدافع كل طرف عن وجهة نظره، ولا يسعى للاستفادة من وجهة نظر الآخر، فتفسير الأمور وفق معادلة «رابح/خاسر».

في النقاش يحترم كل طرف وجهة نظر الآخر، لكنه يبقى على مسافة منها ولا يتفاعل معها، فتفسير الأمور وفق معادلة «لا غالب ولا مغلوب».

أما في الحوار فيصغي كل طرف إلى وجهة نظر الآخر، يتفاعل معها، يطورها، ويتعاون مع الآخرين من أجل استخلاص وقائع جديدة. الحوار هو وسيلة لاستمداد الطاقة من الفوارق وتوجيهها نحو شيء لم يُستحدث من قبل، فتتصافر الجهود وتسير الأمور وفق معادلة «رابح/رابح». في الحوار

(٥) نهوند القادري عيسى، الاستثمار في الإعلام وتحديات المسؤولية الاجتماعية: النموذج اللبناني (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣)، ص ١٧٧.

(٦) Jean Pasquero, «Ethiques des affaires, responsabilités sociale et gouvernance societal: Démêler l'écheveau», *Gestion*, vol. 32, no. 1 (2007) p. 114.

٢ - مجموعة السياسة

أعلنت عن كيفية فهمها موضوع السياسة، محددةً هدفها الأساسي بأنه خدمة الخير العام. أما مواجهة التطرف في الحقل السياسي فيجب أن تتم من خلال: التعاون، والتضامن، مكافحة الإقصاء المجتمعي، وتحقيق المشاركة السياسية، واتباع مبادئ الحوكمة الرشيدة، وضمان الحريات العامة بما فيها الحرية الدينية، وتحقيق العدالة الاجتماعية، والاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية والبشرية.

٣ - مجموعة التربية

تُستعمل كلمة «بيداغوجيا»، في اللغات الأجنبية، للدلالة على التربية، وهي كلمة من أصل يوناني، تتألف من كلمتين «بيدوس» أي طفل و«غوجيا» وتعني قيادة؛ بذلك يدل هذا المفهوم على الطريقة التي نقود فيها أطفالنا. جاء في التقرير الصادر عن منظمة اليونسكو، تحت عنوان «التعلم ذاك الكنز المكنون» أن التربية تعتمد على أربع دعائم؛ وهي التربية على المعرفة، والتربية على الفعل، والتربية على العيش معاً، والتربية على الكينونة. وانطلاقاً من ذلك، رأت هذه المجموعة ضرورة أن تتطرق التربية في مناهجها إلى مواضيع حساسة كبنیان السلام، وكيفية حل النزاعات ونشر التسامح، ذلك من خلال تنشيط عملية التساؤل لدى الطلاب، وتحفيز الفكر الناقد.

٤ - مجموعة الإعلام

بالنسبة إلى الصحفي، يتمحور العمل الإعلامي حول اختيار وقائع من بين آلاف

تسهم نظرية المسؤولية الاجتماعية في عملية مكافحة التطرف، من خلال تعزيز الشعور بالانتماء إلى الوطن والمجتمع، ونشر الوعي، ودعم المشاركة السياسية، وتحقيق التنمية، ومكافحة الفقر والإقصاء. لكن ما يتوجب فعله هو أن تُشرع قوانين تُلزم المؤسسات بتطبيق هذا المفهوم، كما يجب وضع سياسة أخلاقية تتبع مبادئ الحكم الرشيد وبيان سياسة المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات (CSR Policy Statement)، المستندة إلى إطار كفاءة للمسؤولية الاجتماعية للمؤسسات (The CSR Competency Framework)^(٧)، فتسعى إلى تعزيز الشفافية من خلال التصريح عن المعلومات، ووضع التقارير والبيانات المطلوبة، كي لا تبقى المسؤولية الاجتماعية فكرة مثالية غير قابلة للتنفيذ، أو مجرد خيار تتبناه المؤسسات بهدف التسويق لنفسها.

خامساً: مجموعات العمل

توزّع المشاركون، خلال الورشة، على أربع مجموعات عمل، وحاولت كل مجموعة، أن تضع تصوراً مبدئياً لكيفية مواجهة التطرف في حقل من هذه الحقول الأربعة: الدين والسياسة والتربية والإعلام.

١ - مجموعة الدين

ركزت هذه المجموعة عملها على البُعد الاجتماعي للدين، وأقرت بأن الوضع الراهن، يدعو إلى العمل على نشر ثقافة الانفتاح والتسامح وقبول الآخر المختلف، من أجل إحلال السلام وأمنسة التدنّين.

مسار النظام الإعلامي الليبرالي من خلال إخضاع الإعلام إلى المصلحة العامة، وإبعاده عن بثّ الأخبار المُحرّضة، والشحن الطائفي، ومن خلال اتباع مبدأي الشفافية والصدق. وانطلاقاً من ذلك أعلنت هذه المجموعة أنها سوف تخصص جهودها من أجل إيجاد مساحة مشتركة بين بني البشر، والعمل على نشر السلام.

وتجدر الإشارة إلى أن العمل لن يتوقف على معالجة الموضوع من الناحية النظرية؛ فبعد الانتهاء من الدروس الإلكترونية، سوف تعمل كل مجموعة على تنفيذ مشروع يهدف إلى تعزيز المناعة الاجتماعية بمواجهة التطرّف، في بلدها □

أخرى تحدث، ومن ثم سلسلتها ووضعها في تراتبية وإعطائها شكلاً معيناً، أي إعطاء أهمية لبعض الوقائع والتقليل من شأن وقائع أخرى. أصبح الإعلام في أيامنا هذه، يبحث عن الإثارة والجذب أكثر مما يبحث عن المعرفة، وهو يسعى لكسب رضا الجماهير، التي تبتعد عن العقلانية، وتنقاد غالباً بالعاطفة. فلم يعد سلطةً رابعةً تراقب السلطات الثلاث وتحاسبها، بل أصبح وسيلة بيد أصحاب المال والسلطة والأعمال، الذين يضغطون على الصحف والمحطات الإعلامية، للتحكم بالرأي العام.

من هنا تظهر ضرورة اللجوء إلى مبدأ المسؤولية الاجتماعية الذي يقول بأن كل حرية تقابلها مسؤولية، وينادي بضرورة تصحيح